٨

حفصة بنت عمر بن الخطاب

الجزء الأول

شرف الزواج من الرسول ﷺ

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

بريشة : أ. عبد الشافي سيد

إشراف : أ. حمدي مصطفى

مَنْ منا لا يعرفُ (عمرَ بنَ الخطاب) ، الخليفةَ العادلَ الذى أعزَّ اللَّهُ به الإسلامَ ، وأيّدَ به رسولَ اللَّه ﷺ ؟

لقدْ كانَ لـ (عمرَ) ؓ دورٌ عظيمٌ فى تاريخِ الإسلامِ ، وكانَ إسلامُهُ نصراً حقيقيًّا للمسلمين ، حتى إنَّ الرسولَ ﷺ قالَ :

ـ جاءنى (جبريلُ) حينَ أسلمَ (عمرُ) رحمهُ اللَّهُ فقالَ لى : تباشرَتِ الملائكةُ بإسلامِ (عُمرَ) ، و (عمرُ) سواجُ أهلِ الجنة .

وبينما كانَ النبىُّ ﷺ مع بعضِ أصحابِه فى بيتٍ من بيوتِ المدينة ، إذْ طرقَ رجلٌ البابَ ، فقالَ النبىُّ لرجلٍ من أصحابِه :

ـ افتحْ لهُ وبشِّرْهُ بالجنة .

ففتحَ الرجلُ البابَ ، فإذا هو بـ (أبى بكرٍ الصديق) ، فبشَّرهُ بما قالَ رسولُ اللَّه ﷺ فحمدَ اللَّهَ ، ثم طرقَ رجلٌ آخرُ البابَ ، فقالَ النبىُّ ﷺ :

ـ افتحْ له وبشِّرْهُ بالجنة .

ففتحَ الرجلُ البابَ فإذا هو بـ (عمرَ بنِ الخطاب)

فبشَّرهُ الرجلُ بما قالَ رسولُ اللَّه ﷺ فحمدَ اللَّهَ ، وجاءَ بعدَ ذلكَ (عثمانُ بنُ عفَّان) فبشَّرهُ الرسولُ ﷺ بالجنة .

لقدْ كانَ (عمرُ بنُ الخطاب) قويًا في الحقِّ ، لا يخشَى في اللَّه لومَةَ لائمٍ ، وكانَ الرسولُ ﷺ يعرفُ فضلَهُ ومكانتَهُ ، وكمْ تمنَّى أنْ تكونَ بينهُ وبينَ (عمرَ بن الخطاب) مصاهرةٌ ونسبٌ ، كما بينهُ وبينَ صاحبه (أبي بكرٍ) ، لكيْ تتعمقَ الروابطُ ، وتقوَى الصلاتُ بينهما . .

وكانَ ما تمنَّى ، فقدْ أصبحتْ (حفصةُ بنتُ عمرَ) زوجةً للنبيِّ ﷺ وأُمًّا للمؤمنينَ ، وأصبحَ أبوهَا يزهُو بهذَا القُرْبِ وبهذه المصاهرة ، ولا يتوقفُ لسانُهُ عن شكرِ اللَّه على ذلكَ . .

لقدْ كانتْ (حفصةُ) زوجةً للصحابيِّ الجليلِ (خنيسِ بنِ حذافةَ) ، واشتركَ هذا الصحابيُّ في غزوةِ بدرٍ وقاتلَ قتالَ الأبطالِ حتى استُشْهدَ في سبيلِ اللَّه ، وأصبحتْ (حفصةُ) في يومٍ وليلةٍ أرملةً وهيَ في ريعانِ شبابهَا .

وتألمَ (عمرُ بنُ الخطاب) ألمًا شديدًا، وحزنَ من أجلِ ابنتِه التى ارتدت السوادَ فى الثامنة عشرة من عمرها .. ومرّتْ بعضُ الشهورِ، و (حفصةُ) في بيتها حزينةٌ تبكي زوجها بمرارةٍ، وفكّرَ (عمرُ بنُ الخطاب) فى وسيلةٍ تُخرجُ ابنتَهُ من حُزنها، وتعصمُها فى

حياتها فلمْ يجدْ سوى تزويجها منْ رجلٍ يرضَى دينهُ وخلقهُ .

ولمْ يتردّدْ (عمرُ) طويلا ، فقدْ ذهبَ إلى (أبي بكرٍ) ، وعرض عليه الزواج من ابنته ، لكنّ (أبا بكرٍ) واساهُ مواساةً جميلةً ، ولمْ يجبْ (عمرَ) إلى ما يطلبهُ ، وسكت (أبو بكرٍ) فعرفَ (عمرُ) أنهُ لا يرغبُ في الزواج منَ ابنته .

ومضى (عمرُ) إلى (عثمانَ بن عفان) ، وكانتْ زوجتهُ (رقيةُ بنتُ محمدٍ) ﷺ قدْ ماتتْ ، فعرضَ عليه الزواجَ منَ ابنته (حفصة) ، وتوقّعَ (عمرُ) أنْ يوافقَ (عثمانُ) على الفورِ ، لكنّ (عثمانَ) قالَ لـ (عمر) :

ـ ما أرغبُ في الزواج اليومَ .

كانَ (عمرُ) يبحثُ عن السعادة لابنته التي فقدتْ زوجها ومؤنسَ وحدتها ، وهي لا تزالُ في عمرِ الزهور ، ولذلك فقد التمس ذلك في المؤمن التقيِّ والرجل الصالحِ ، الذي يخشى اللّهَ ويتقيه ، لكنّ شيئا من ذلك لم يتمّ .

لمْ يكنْ عيبًا أنْ يبحثَ الأبُ لابنتِه عنْ زوجٍ صالحٍ يحبُّها ويحميها ، فقدْ فعلَ ذلكَ (شعيب) عليه السلام حينَ عرضَ على (موسى) عليه السلام الزواجَ منْ إحدى ابنتيه ، قالَ (تعالى) :

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ

عندكَ وما أُريدُ أنْ أشُقَّ عليكَ ستجدُني إنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالحينَ ﴾ [سورة القصص : ٢٧]

وقد اقتدى (عمرُ بنُ الخطاب) بـ (شعيب) عليه السلام والتزم بما يدعو إليه الإسلامُ ، ولكنهُ لمْ يعرفْ سبباً حقيقياً لرفضِ (أبي بكر) و (عثمانَ) الزواجَ من ابنته ، التي يتحدثُ الناسُ عن ورعِها وتقواها وعبادتِها .

ولمْ يبقَ (عمرُ بنُ الخطاب) يفكرُ في هذا الأمر طويلاً ، فقدْ قرَّرَ أنْ يذهبَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ويشكوَ صاحبيْه .. وكانت المفاجأةُ ، حيثُ ابتسمَ الرسولُ ﷺ وهو يسمعُ لـ(عمر) ، ولمَّا انتهى من حديثه ، قالَ ﷺ :

- يتزوجُ (حفصةَ) مَنْ هوَ خيرٌ منْ (عثمانَ) ، ويتزوّجُ (عثمانُ) من هيَ خيرٌ من (حفصةَ) .

وأخذ (عمرُ) رضي الله عنه يفكرُ في كلامِ النبيِّ ﷺ : يتزوجُ (حفصةَ) مَنْ هو خيرٌ من (عثمانَ) ، هلْ يتزوجها الرسولُ ﷺ ؟ إذنْ فإنها السعادةُ لـ(عمرَ) وآلِ (الخطاب) في الدنيا والآخرة ، فأيُّ كرمٍ وأيُّ فضلٍ أكبرُ منْ أنْ يتزوّجَ نبيُّ اللَّهِ ﷺ بهذه الأرملةِ !! إنهُ خُلُقٌ لا يصدرُ إلا عنْ نبيِّ الرحمةِ ورسولِ المحبة .

وخرجَ (عمرُ بنُ الخطاب) منْ عند رسولِ اللّه ﷺ متهللاً ويكادُ يطيرُ من الفرحة ، بعدَ أنْ أكرمهُ اللّهُ بمصاهرةِ رسولِ اللّه ﷺ ، هذه المصاهرةِ التى ستكونُ سبباً قوياً فى تدعيمِ أواصرِ الصداقةِ والمحبةِ بينَ (عمرَ بن الخطاب) وبينَ سيدِ الخلقِ (صلواتُ اللّه وسلامُهُ عليه) .

ولقىَ (أبو بكرٍ) (عمر بنَ الخطاب) وهو على هذه الحالةِ منَ السرورِ ، فعلمَ أنَّ رسولَ اللّه ﷺ قد

أخبرهُ برغبته في الزواج من ابنته ، فهنأهُ على هذا التشريف وقالَ له معتذرًا عنْ موقفه :

ـ لا تجدْ عليَّ يا (عمر) ، ولا يكنْ في نفسكَ شيءٌ ، فإنَّ رسولَ اللَّه ﷺ ذكرَ (حفصةَ) ، فلمْ أكنْ لأُفشيَ سرَّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولو تركها لتزوجتُها .

وأنستِ الفرحةُ (عمرَ) كلَّ شيءٍ ، وقالَ لصاحبه :

ـ لا عليكَ يا (أبا بكر) .

ثمَّ رجعَ إلى ابنته ليبشرَها بهذه البشرى ، ولأوَّلِ مرة منذُ ماتَ زوجُها تعرفُ (حفصةُ) السعادةَ ، ولمْ تصدِّقْ (حفصةُ) نفسَها ، وكادَ يُغشَى عليها أمامَ هولِ المفاجأة : أحقًّا ستصبحُ زوجةً لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتكونُ أمًّا للمؤمنينَ كما كانتْ (خديجةُ رضيَ اللَّهُ عنها) ، ويكونُ مثلَها مثلُ (عائشةَ بنتِ الصدِّيق) ، التي يتحدَّثُ الناسُ بحبِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ لها ؟

ولم تستغرقْ (حفصةُ) طويلاً في التفكيرِ في هذا الحلمِ الرائع ، فقدْ تحولَ إلى واقعٍ بعدَ أنْ زفَّها أبوها للرسولِ ﷺ في السنةِ الثالثةِ للهجرة ،

وسرعانَ ما استقبل بيتُ النبيِّ ﷺ زوجةً صالحةً ، صارَ لها مكانتُها في حياةِ النبيِّ ﷺ بمرورِ الوقتِ ، وتحدثَ المسلمونَ بإعجابٍ عنْ هذا الزواجِ المباركِ والحكمةِ منهُ وقالوا :

ـ لقد اختار اللهُ لهم جميعًا ، فكانَ رسولُ اللهِ ﷺ

لـ (حفصة) خيراً من (عثمان) ، وكانت (أم كلثوم) بنتُ رسول اللَّه ﷺ لـ (عثمان) ، خيراً من حفصة !

وتزوّج الرسولُ ﷺ من (حفصة) ، ورأى المسلمون في هذا الزواج تكريمًا لـ (عمر بن الخطاب) ، حيثُ أنعمَ اللَّهُ عليه بهذه الصلة من رسول اللَّه ﷺ ، كما أنعمَ على صاحبه (أبي بكر الصديق) من قبلُ ، حيثُ تزوّج الرسولُ ﷺ من ابنته بوحيٍ من اللَّهِ لحكمة لا يعلمُها إلا اللَّهُ .

كما كانَ في زواج الرسول ﷺ من (حفصة) تكريمٌ لها وتشريفٌ ورفعةٌ لشأنها حيثُ صارتْ (حفصةُ) من أمهات المؤمنين .

كانَ هذا الزواجُ إضافةً إلى بيت النبوّة ، فقدْ قامتْ (حفصةُ) بواجبها تجاهَ رسولِ اللَّه ﷺ على أكمل وجه ، فقدْ كانَ النبيُّ ﷺ يقضي أكثر وقته في الدعوةِ إلى اللَّه والتعريف بالإسلام ، وتعليم الصحابة أصولَ الشريعة ، وكانتْ زوجاتُ النبيِّ الطاهراتُ يعملنَ على راحته ويساعدْنَهُ في هذا العمل المضْنى

الشاقّ ، حيثُ كنَّ يحفظْنَ ما يقولهُ ، ويشرحْنَهُ للناسِ .

وكانتْ كلُّ زوجةٍ تقومُ بذلكَ على خيرِ وجْهٍ ، فتنقلُ للمسلمينَ تعاليمَ الرسولِ ﷺ ووصاياهُ ، وخاصةً ما يتعلقُ بفقْهِ المرأةِ وما يتصلُ بأحكامِ النساءِ ، ولمْ تكنْ كلُّ هذه الأشياءِ هي الحكمةُ الوحيدةُ منْ زواجِ النبيِّ ﷺ ، فقدْ أرادَ اللَّهُ (تعالَى)

أنْ يربّيَ المسلمينَ تربيةً فعليةً وعمليةً، على ضوءِ ما يحدثُ في بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

فقدْ حفلَ بيتُهُ بالعديدِ منَ الأحداثِ ، هذه الأحداثُ صنعهَا بشرٌ وكانوا هم أبطالَها ، وقدْ تضمنتْ هذه الأحداثُ الصوابَ والخطأَ ، كما ظهرَ منْ خلالها منهجُ السماءِ في معالجةِ هذه الأحداثِ ، ومنْ ثَمَّ يرى المسلمونَ التجربةَ بصوابِها وخطئِها وطريقةِ معالجتِها ، فيسيرونَ في حياتِهم وفقَها .

وها هيَ ذي مواقفُ (حفصةَ) تؤكّدُ لنا ذلكَ ، فقدْ كانَ في طبْعِها حدّةٌ بعضَ الشيءِ ، وكانتْ تراجعُ الرسولَ ﷺ في كثيرٍ مما يقولُهُ ، وكانَ ذلكَ يُغضبُ النبيَّ ﷺ ويؤذيه .

وما إنْ علمَ أبوها بذلكَ حتى أسرعَ إليها وسألَها :

ـ أحقًّا ما سمعتُ أنكِ تراجعينَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ؟

فلم تنكرْ (حفصةُ) وقالتْ :

ـ نعمْ ، إنهُ حقٌّ .

فزجرهَا (عمرُ) قائلاً :

ـ تعلمينَ أنّي أحذرُكِ عقوبةَ اللَّهِ وغضبَ رسولِه ،

يا بنيّةُ لا يغرّنكِ هذه التي أعجبها حسنُها وحبُّ رسولِ اللّهِ ﷺ إياها ، واللّه لقد علمت أنَّ رسولَ اللّه ﷺ لا يحبُّكِ ، ولولا أنا لطلقكِ .

وعلى الرغمِ من قسوة كلام (عمر) ، إلا أنهُ كانَ يقومُ بواجبه كمؤمنٍ حريصٍ على إرضاءِ اللّه ورسوله ، وكوالدٍ يقومُ بدورِه في توجيه ابنته وإرشادها لكي تقوم بواجبها نحو زوجها وتحرص على إرضائه بأيِّ ثمنٍ .

وكانَ (عمـرُ بنُ الخطاب) يضعُ الحقيقـةَ أمامَ عيني ابنته ، فإذا كانتْ (عائشةُ رضى اللَّهُ عنها) لها أسلوبُها وطريقتُها فى التعامل مع رسول اللَّه ﷺ ، فلا يجبُ أنْ تقلِّدَها (حفصةُ) ، لأنَّ مكانةَ (عائشة) فى قلب النبيِّ ﷺ أكبـرُ منْ كلِّ مكانة ، ومكانةُ أبيها عند النبيِّ ﷺ أكبرُ منْ مكانة سائرِ الصحابة ، لذلكَ كـانَ (عمـرُ) ينصحُ ابنتَـهُ بعدمِ التشبُّـهِ بـ(عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها) ، ويقولُ لها :

ـ أيْن أنت من (عائشة) ، وأين أبوك من أبيهَا ؟

وكانتْ (حفصةُ) تنصتُ لأبيها فى احترام ووقار ، وربمَا أظهرت الاستجابةَ لما يقولُ ، لكنَّ الطبيعـةَ البشريةَ كـانتْ تتغلبُ عليها فى بعضِ الأحيـان وتنسى نصائحَ أبيهَا وترجعُ إلى ما كانتْ عليه .. وهكذَا النفس البشريةُ ..

(تمَّتْ)

الكتاب القادم

حفصة بنت عمر بن الخطاب (٢)

(سيدة حفظت المصحف)

رقم الإيداع : ١/٣٩٤١ ٢
الترقيم الدولى : ٦ ـ ٤٧٨ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧